نشأة الحركة الكشفية في الموصل
(١٩٢١ـ١٩٣٧)

د. ذنون يونس الطائي*

ملخص البحث:

البحث يمثل محاولة للوقوف على بواكير تأسيس الحركة الكشفية في الموصل خلال الفترة ١٩٢١–١٩٣٧ مع ابراز الدعوات المؤيدة والمعارضة للحركة الكشفية والوقوف عند نشاطاتها وفعالياتها ونظامها الداخلي، ومدى اقبال الطلاب عليها وتجاوب اولياء امورهم معها. فضلاً عن الدروس المتوخاة منها.

The Rise of the Scout in Mosul 1921-1927

Assist. Prof Dr. Thanoon . Y. Al Taee
Administrator of Mosul Studies Center

Abstract:

Scout Spread in Mosul Schools until the early seventies of the twentieth Century. Any school in mosul could hardly be empty of scout group in it. Groups of scout used to begin their activities with flag saluting. Then, they would energetically move and Practise field and sportive games in groups. Abilities and skills would be activated in an atmosphere full of life. Hence, the research focused on the origination of Scout in Mosul, its aims, its purposes, its activities, its echoes during the research in which it few sources to go to.

* استاذ مساعد/ مدير مركز دراسات الموصل

مقدمة

كانت الحركة الكشفية منتشرة في مدارس الموصل حتى اوائل السبعينات من القرن العشرين. وتكاد لا تخلو اية مدرسة من مدارس الموصل دون وجود فرقة كشفية فيها، حيث تجتمع تلك الفرق الكشفية في مهرجان سنوي عام يقام آواخر السنة الدراسية في معسكر الحدباء الكائن في غابات الموصل، وكانت مجاميع الفرق الكشفية تبدأ صباحاً بممارسة (تحية العَلم) ثم تنطلق في حركة دائبة وتمارين رياضية والعاب فرقية وممارسات ميدانية، وفيها تنطلق الامكانيات والمواهب الفردية، في اجواء ملؤها الاقبال على الحياة، حيث تعلو الهمة محيا الجميع. وجل مايحدث من فعاليات وتمارين رياضية وممارسات ميدانية تتدرج في مرحلة اعداد الفتيان لتحمل المشاق ومواجهة الصعاب في الحياة وغرس مبادئ الرجولة والمثل العليا في نفوسهم.

وبعد انتشارهم على شكل زمر في الغابات وبين الاحراش لممارسة التدريبات يعودوا الى الخيم المعدة لهم وبأنساق متوازية ومتجاورة وفي ساحة كبيرة وواسعة تتوسطها سارية العلم العراقي.

وعليه فقد تركز بحثنا على نشأة الحركة الكشفية في الموصل، واهدافها وغاياتها وصداها وحتى معارضتها، وبخاصة ان مثل هذا الموضوع لم يبحث بشكل مستقل اكاديمياً باستثناء بعض الاشارات في بحث د. وائل علي احمد النحاس الموسوم (النشاط الرياضي في الموصل١٩٢١-١٩٣٢)، وعلى اية حال فأن الدراسات والبحوث في التاريخ الرياضي تكاد تكون محصورة في اطار البحوث الاكاديمية. فعقدنا العزم بالاستعانة بالمتيسر من المصادر الاصلية وبخاصة جريدة الموصل الصادرة سنة ١٩١٩ و١٩٢١ فضلاً عن الوثائق المنشورة والمطبوعات الرسمية والمتوفر من مجلة الكشاف العراقي (اشرف عليها متصرف بغداد انذاك محمود نديم الطبقجلي) والتي تضم معلومات وافية وغاية في الاهمية حول الفرق الكشفية في العراق كافة و للتثبت من نشأة الحركة الكشفية في الموصل علها تكون ذي فائدة للباحثين والدارسين في تاريخ الموصل المعاصر.

بواكير الكشافة العراقية

ظهرت فكرة تأسيس الحركة الكشفية على يد القائد الانكليزي (روبرت بادن باول) حينما كان قائداً للجيوش ومدافعاً عن مدينة مفكنج في جنوب افريقيا، عندما نشبت حرب البوير مع الانكليز سنة ١٩٠٠، ولما رأى بسالة البوير المهاجمين واشراك نسائهم واطفالهم في الحرب متعاونين ومتعاضدين، انتبه الى تلك الحالة وامكانية تنشئة الفتيان منذ الصغر تنشئة عسكرية

وتعويدهم على المشاق وخشونة العيش وتقوية ابدانهم من خلال التمـــارين الرياضـــية، فوضـــع روبرت بادن باول مبادئ الكشافة وقوانينها وانظمتها وعمل على ترتيبها حتى انتشرت بين جميع الامم خلال العقدين الاولين من القرن العشرين ومنها العراق[١]. حيث تأســـست اولـــى الفـــرق الكشفية في العراق اواخر العهد العثماني سنة ١٩١٥، وسميت باللغة التركيـــة (ايزجيلـــك) – أي متتبع الاثر – وعندما دعي الطلاب للانخراط في سلك الكشافة كان اقبالهم عليها ضعيفاً، ظناً من الناس ان الانتساب اليها هو عملية تهيئة الطلاب للانخراط في الخدمة العسكرية، التـــي يخـــشاها الناس أشد خشية[٢]. اذا اهتمت السلطات العثمانية بنشر مبادئ الكـــشافة فـــي جميـــع الولايـــات العراقية، قبيل الاحتلال البريطاني للعراق، فتشكلت في كل من مدارس مدينتي بغداد والموصـــل فرقاً للكشافة، غير انها لم تأخذ طورها الجدي الا بعد الاحتلال البريطاني كما يذكر عوني بكـــر صدقي[٣]. وفي سنة ١٩١٩ تأسست جمعية الكشافة العراقية في بغداد برئاسة الميجـــر (النقيـــب) همفري بومان (Humphrey Bowman) والاعضاء: الشيخ ابراهيم افندي الراوي وفخري افندي آل جميل وعبد الجبار باشا الخياط وكريكور افندي اسكندريان ويهودا ازلوف افندي وداؤد فتو، وعقدت تلك الجمعية اجتماعات عدة كرست لجمع التبرعات والاعانات للفـــرق الكـــشفية[٤]. ومما يلحظ عن تشكيلة تلك الجمعية التنوع المذهبي لاعضائها وربما مرد ذلك كي تكـــون اكثـــر انتشاراً وقبولاً لدى فئات المجتمع العراقي آنذاك حيث انتشرت حركة الكشافة في الالوية العراقية وبخاصة بعد سنة ١٩٢٠ وكان احد ابرز العوامل لانتشارها هو اناطة قيادتهـــا لأحـــد وطنيـــي العراق وهو محمد جميل الراوي[٥]. الذي اخذ يطوف انحاء العراق ويجوب الويته لتأليف الفـــرق الكشفية حيث تكللت جهوده بالظفر، وتمكن من تأليف عشرة فرق كشفية في الموصل وخمسة في كركوك وسبعة في البصرة[٦]. ويلحظ ان عدد الفرق في الموصل اكثر من غيرها وهـــذا يقودنـــا الى الاستنتاج بأن الاقبال على الفرق الكشفية في الموصل كان شديداً وان تلك الحركة قـــد لقيـــت تشجيعاً ورواجاً قياساً بالمناطق الاخرى.

بيد ان هذه الحركة على شدة ميل الشعب العراقي اليها، لم تكن مبنية على اساس فنـــي منظم في بادئ الامر، اذ كانت تسودها الفوضى في اكثر مناهجها ولم تكن فوائدها معروفة لـــدى طلاب المدارس والآهلين، بل كانوا لايعرفون عنها الا كونها ضرب من التسلية، وكانت لمحمـــد جميل الراوي ايادي بيضاء في قيادة الحركة الكشفية والآخذ بزمامها، فأدخل بعض التعديلات في قوانينها وتنظيم فرقها وبث الدعاية الواسعة لها، فاصبحت تسير من حـــسن الـــى احـــسن، وان

الاستعراضات الكشفية التي كان يقيمها سنوياً بعثت في نفوس الطلاب واوليائهم، روحاً جديدة وساعدت على انتشار الحركة الكشفية، فضلاً عن قابلية الطلاب وميلهم الغريزي الى الاعمال الجسمانية والقوة البدنية المعروفة عن آبائهم واجدادهم(٧).

وقد ساهم الملك فيصل الاول (١٨٨٣-١٩٣٣) في تشجيع هذه الحركة، وخصص جانباً من وقته من اجلها، وكانت الحفلات الرياضية الكشفية في اخر كل سنة تقام برعايته يحضرها ويوزع الجوائز على الفائزين والمتميزين بنفسه، ولم يكتف بذلك بل ادخل نجله الامير غازي (١٩١٢-١٩٣٩) في صفوف الفرق الكشفية(٨).

انتشرت الفرق الكشفية في اطراف العراق المختلفة، حتى لنجدها في كل لواء وقضاء وناحية، ومن ابرز الفرق الكشفية التي تألفت في مدينة الموصل بعد تأسيس الحكم الوطني سنة ١٩٢١ هي فرق مدارس: الخضرية، الثانوية، الخزرجية، القحطانية، دار النجاح، الاسرائيلية، مارتوما سريان، شمعون الصفا، الطاهرة، العراقية(٩). ولم يزد عدد افراد كل فرقة عن (٣٠) كشافاً، ولم يكن تدريب الكشافة آنذاك ليزيد عن تتبع الاثر والمسيرات الراجلة لمسافات طويلة تشبهاً بالمسيرة العسكرية والتي يطلق عليها (بمسيرة التحمل) حيث تسير الفرقة تتقدمها الجوقة (الفرقة) الموسيقية مخترقة شوارع المدينة(١٠). كما وقد عين حنا بطرس (١٨٨٦-١٩٥٨) مراقباً للكشافة ومدرساً لموسيقاها في مدينة الموصل وذلك سنة ١٩٢١(١١).

وقد اتبع نظام موحد في تشكيل الفرق الكشفية في المدارس، ففي كل مدرسة يقسم الطلاب الى ما يسمى بالطلائع او الحظائر، وكل حظيرة تتألف من ٩ طلاب متناسبين في الطول والقوة البدنية والفئة العمرية، ويعطى لكل حظيرة رقماً وشعاراً خاصاً بها، فعلى سبيل المثال، الحظيرة الاولى شعارها الاسد ولونها اصفر واحمر (علامة الكتف)، والحظيرة الثانية شعارها النمر ولونها بنفسجي وهكذا، وبعد تقسيم الحظيرة يرتب المدرس او قائد الفرقة الكشفية افراد كل حظيرة الى: رئيس الحظيرة او العريف ويكون عادة انشطهم ويختار نائب للعريف ثم يرتب البقية حسب التسلسل الثالث والرابع الى التاسع والاخير يكون يقظاً وحذراً، واخيراً يختار القائد الكشفي من هو اكثر قوة وحيوية ونشاط وقابلية بدنية واكثر اطلاعاً على مبادئ الكشافة والعلوم المختلفة وذو سلوك جيد ويمتاز بالانتباه والدقة، ليكون مساعداً له ويسمى (رئيس العرفاء) وبهذه الطريقة يكون قد تم تشكيل هيكل الفرقة الكشفية في المدرسة(١٢).

ثم يجتهد القائد الكشفي بتجهيز فرقته بالتجهيزات الضرورية اللازمة والخاصة لكل كشاف، فالملابس الكشفية الكاكي اللون تتكون: من غطاء الرأس الكوفية والعقال او السدارة وقميص ذو اكمام طويلة يتدلى من فوق الكتف الايمن خيط في نهايته صافرة، وتوضع في الجيب الايمن للقميص ويربط في رقبة الكشاف منديل ذو الوان خاصة بالفرقة الكشفية التي ينتمي اليها الكشاف، اما السروال فهو قصير حتى الركبتين، ويضم ثلاثة جيوب وحزام يربطه الكشاف ويتدلى منه قدح فافون للماء والحليب ومدية صغيرة قابلة للضم وهي للاستخدامات المختلفة، فضلاً عن وجود حبل صغير مكور على نفسه يتدلى من الجهة اليسرى للحزام، كما ينتعل الكشاف الجواريب وحذاء رياضي ابيض او ازرق اللون[١٣]. كما يحمل الكشاف العصا وحقيبة الظهر ورداء للنوم وبطانية وفأس. ومن المفيد وجود بعض التجهيزات في الفرقة الكشفية، مثل بيت الابرة (البوصلة) ومصباح كهربائي صغير وصيدلية تضم بعض الادوية والمستلزمات الطبية وكذلك وجود علبة كبريت والة تصوير (فوتوغرافي) وفرجال ومنقلة وشريط المساحة وادوات الحفر فضلاً عن وجود طبل صغير واخر كبير ومزامير[١٤].

وفي سنة ١٩٢٤ عممت وزارة المعارف القوانين العشرة على الفرق الكشفية كافة في عموم مدارس العراق وهي: الشرف، الاخلاص، المساعدة، الاخوة، الادب، الشفقة، الاطاعة، البشاشة، الاقتصاد، النصح[١٥].

موقف الصحافة من الحركة الكشفية

يبدو ان الدعوات لتشكيل الفرق الكشفية، ظهرت في الموصل منذ اوائل سنة ١٩١٩ ، أي قبيل تأسيس الفرق الكشفية رسمياً في الموصل بسنتين، وهذا مانستشفه من المقال المنشور على صفحات جريدة الموصل في ١٨ نيسان ١٩١٩ تحت عنوان (الكشاف) ومما جاء فيه: "الكشاف هو احد افراد خدمة الكشافة المتألفة من غلمان ورجال مختلفي الاجناس واللغات تربطهم رابطة الاخاء الوثيقة لقصد الاحسان الى بني الانسان بأداء انواع الخدم النافعة، ان شعار فرقة الكشافة هو (الاستعداد) وجل غرض الكشافة ان يعد نفسه ليتمكن على قدر وسعه من حسن القيام بما يعنيه شعاره، فاذا رأى مثلاً ولداً وقع في نهر وهو في خط الغرق فعليه ان يكون مستعداً حاضراً لالقاء نفسه وراء ذلك الولد لينتشله من الغرق، فتعلمه السباحة لانقاذ نفس من الغرق داخل ايضاً في مشتملات تدربه التام " ويمضي المقال في شرح مضامين العمل الكشفي واصناف الفرق الكشفية فيقول: " وفي الحقيقة ان نواميس فرقة الكشافة تفوق كل فن وعلم وزراعة وتجارة وتسمو على كل وسام نال حائزه لبراعة اتاها بتفوقه في شيء مما ذكر، ويترتب على كل من

الكشاف حسب قانونهم ان يتعاطى كل يوم بعض الاعمال الصالحة الباعثة على نفع القوم فيؤدي ولو خدمة واحدة لشخص واحد.." ويسترسل المقال في ايضاح التشكيلات الاساسية للفرق الكشفية بالقول:"ان الكشافين ينقسمون بحسب استعدادهم الى ثلاثة اصناف وهي: الاحداث والصنف الثاني والصنف الاول، وتترتب فرقهم من زمر تشتمل كل منها على (١٠) انفار يرأسهم قائد وكل زمرة تختار لنفسها اسم احد الحيوانات من الطيور او غيرها تسمى به، فيكون صوتها واشارتها كصوت ذلك الحيوان، فزمرة السنونو مثلاً تقلد صوت السنونو.."[١٦].

وبغية التعريف بأهمية الكشافة وضرورة حث الاهالي لابنائهم على الانخراط فيها، فقد استمرت جريدة الموصل بتدبيج المقالات الصحفية التي تفصح عن فائدة العمل الكشفي واهميتها بالنسبة لحياة الطلاب والمجتمع والوطن . وفي هذا السياق نشر محمد جميل الراوي (قائد الكشافة العراقي) مقالاً اوضح فيه مضامين العمل الكشفي وتاريخها العربي المجيد ومما جاء في مقاله: "للكشافة قوانين خاصة، تتضمن العمل بموجبها والوقوف على كل ما يهم الانسان معرفته من ضروريات الحياة وقد يرتقي الانسان بواسطتها الى درجة تغنيه عن الخضوع الى كثير من الحاجيات التي لم ولن يستطع الاستغناء عنها، فيتدرب الكشاف معتمداً على الله، ذا ثقة بنفسه قائماً باعمال كبيرة يعود منها النفع الخاص لنفسه والعام لبني جنسه، والكشاف ذو شرف يعتمد عليه ويخلص لبني قومه ونافع للبشرية يصادق الجميع ويلاطف الضعيف ويحترم الكبير ويحب الصغير ويشفق على الحيوان وهو مقتاد لمرشده مقاوم للشدائد مقتصد غير مبذر حر الفكر طاهر السريرة " ويمضي الراوي في ايجاز تاريخ الكشافة بقوله: " اما تاريخ الكشافة ومأخذها الاصلي فيرجع الى حياة العرب المتنقلين في البوادي الذين خاضوا البراري والقفار دون ان تستقر اقدامهم ولو مدة وجيزة، وقد اقتبس الانكليزي (روبرت بادن باول) المتجول في قبائل افريقيا والعرب القاطنين فيها فدون هذا الفن، فهي تتصف بالتنقل والسرعة وبعد النظر والصبر نوعاً ما على الحر والبرد والجوع والعطش والقيام بمهام شؤونه بنفسه كالطبخ وغير ذلك من ضروريات الحياة والتدريبات البدنية التي لم يستغن عنها كل بدوي كركوب الخيل والسباحة وغيرها، وقوانين الكشافة تذكر الصغار بشهامة اجدادهم العرب كالصدق والاخلاص والامانة والوفاء ومساعدة الغير، وقد زاد عليها الانكليزي المشار اليه امور تلزم ضروريات الحياة العصرية. ولايسعني الا ان ابدي سروري عما شاهدته من الاقبال من طلاب المدارس في الموصل عند تشكيلي فرق الكشافة فيها "[١٧].

واهم مايؤكد عليه هذا المقال الذي اوردنا مقاطع منه، هو ان الكشافة في تاريخها تعود الى اصالة الحياة العربية وتحمل الفرد العربي المشاق والحياة الخشنة، وعدم الركون الى الراحة والاسترخاء بل الاعتماد على النفس وتطويعها وترويضها في مواجهة صعوبات الحياة، الى جانب التأكيد على السجايا الخلقية الرفيعة التي يتحلى بها الفرد العربي، والتي تسعى الفرق الكشفية الى غرسها في نفوس النشىء الجديد.

اما محمود نديم[١٨]، مدير المدرسة الخزرجية آنذاك، فقد دبج مقالاً مؤكداً العديد من المضامين التي ذكرها الراوي في مقاله السابق ومما كتبه نديم: " ان سلك الكشافة يحتوي على نظامات وقوانين عمومية كثيرة منها القوانين الاخلاقية وهي التي تجعل الكشاف يتحرك في دائرة نظامات اخلاقية محورها المبادئ الشريفة والخصائل الحميدة، فالكشاف مقيد بالشرف ولايمكنه ان يشذ عن نظاماته ويتعاطى مايخل بشرفه وهو يفضل الموت في سبيل الثبات على كلمة الشرف وما تنطوي عليه من المبادئ السامية"[١٩]. كما اورد محمود نديم في مقال تحت عنوان (الكشافة والكشاف) جملة من الخصائص والمهام والتدريبات التي تناط بالكشاف وحصرها في خمسة نقاط وهي:

١- يكون الكشاف مهذباً ٢- يكون الكشاف عالماً نتيجة مايتلقنه في المدارس من العلوم المختلفة ٣-يكون صانعاً ضمن برنامج الكشافة الذي يشمل

أ- طريقة الوقوف على بعض اعمال الحدادة والنجارة ب- معرفة الدبغ واستعمال الجلود المدبوغة لسد الحوائج الضرورية ج_ معرفة النسيج كالبسط والحصير والسلال والحبال والقيطان د- معرفة الخياطة باليد وبألة الخياطة ق_ معرفة بناء حائط بسيط تبعاً للقواعد الهندسية وفن البناء و- معرفة بعض المعادن وتميزها هـ – الالمام باحوال الالات البرقية وطرق المخابرة منها.

٤-يكون الكشاف فلاحاً عصرياً عن طريق أ- معرفة الاساليب الصالحة للزراعة والمام الكشاف باحوال الاراضي ب- اطلاعه على كيفية زرع بعض الحبوب والازهار والورود وادارة البساتين ج- تربية الحيوانات الاليفة والمواشي والطيور المنزلية د- طريقة اقتناء النحل وتربيتها هـ- معرفة بعض الحيوانات الوحشية والالمام بطبائعها ٥- يكون صحيحاً سالماً من اكثر الامراض قوي البنية بفضل برنامج الكشافة من الرياضة البدنية والالعاب وترويض النفس والاحتياطات

الصحية[٢٠]. ويلحظ هنا مدى التفاؤل الذي ابداه نديم في اهداف وغايات الكشافة والالمام الواسع الذي يحيطه الكشاف من خلال تدريباته المختلفة الفوائد.

وفي ذات السياق اوردت جريدة الموصل مقالاً حمل عنوان (الكشافة والكشاف) مشيراً الى الفوائد التي يجنيها الكشاف من وراء انخراطه بالفرق الكشفية والمزايا البدنية والاخلاقية الوفيرة التي يكتسبها الكشاف ومما جاء فيها: فالشرف ويشتمل عليه من محاسن الصفات والاخلاق ميزة من مزايا الكشافة وهي: ١- يتمسك الكشاف بالافعال التي تقربه من الفضيلة وتجنبه من الرذيلة ٢- يكون للكشاف آمراً من نفسه لنفسه يحرضه على عمل الخير وترك الشر وهذه قضية مهمة من قضايا التربية ٣- ان شرف الكشاف موثوق به (الكشاف متمسك بشرفه) ٤- الكشاف مخلص للملك ولوطنه وضباطه ووالديه ومن يستخدم عندهم من هم دونه (لايخونهم ولايعمل على ضررهم) ٥- واجب الكشاف ان يكون نافعاً وان يساعد الغير ٦- الكشاف صديق الحيوانات مشفقاً عليهم راحماً ومنقذاً لهم ٧- الكشاف يطيع اوامر والديه وقائده ومعلمه ٨- الكشاف ينشد ويبتسم عند كل صعوبة ٩-الكشاف مقتصد ونقي وطاهر[٢١]. ويلحظ ان تلك المزايا التي يدعو اليها كاتب المقال، هي جل ماتتمناه الاسرة او الوالدين لاولادهم بالنظر لما تنطوي عليه من سجايا الرجولة والمروءة والشجاعة والخصال الحميدة.

ويتساءل احد الكتّاب ماهي الكشافة؟

فيسعى للاجابة على ذلك التساؤل فيشير الى ان :"الكشافة عبارة عن وسائل وتدابير مخصصة لتربية الاطفال تربية صحيحة " وعن فوائد العمل الكشفي يورد عدداً من الفوائد منها ١- تربية اخلاق الشخص وحثه على التشبث والملاحظة ٢- يتعلم الكشاف مبادئ الصنائع المعروفة التي ستمهد له طريق الحياة في المستقبل ٣- حب الوطن ومساعدة الاخرين، اذ يسهل على الكشاف ان يكون ماهراً في فن الاطفاء او الاسعاف او الملاحة او انقاذ الناس بطرق مختلفة او أي عمل مفيد تشترك فيه جماعات منتظمة ٤-تربية البدن اذ ان هذه الرياضة تشجع الطلاب على الاهتمام بممارسة الرياضة والاعتناء بصحتهم[٢٢].

ابرز الانشطة الكشفية:

لقد كان للفرق الكشفية في المدارس الموصلية العديد من الانشطة والفعاليات في المرحلة التي تلت تأسيس تلك الفرق ومنها، في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢١ جرت في سهول الساحل الايسر لمدينة الموصل العاباً وتمارين منظمة لمجاميع الفرق الكشفية في الموصل ابتدأت بفعالية تحية العلم ثم اعقبها العاب رياضية وبعض التمارين الاستعراضية استغرقت ساعة من الزمن، وبعد

ذلك تمتع الطلاب باستراحة جرى خلالها تمارين تهيئة وجبة الشاي، فشرب الجميع، ثم استأنفوا العابهم الرياضية ، فجاءت تلك الالعاب والتمارين الرياضية بغاية النظام والاتقان حيث شوهد فيها روح الطاعة للرؤساء والانقياد الفوري لادنى اشارة منهم(٢٣).

وفي الاول من كانون الثاني ١٩٢٤ اجتمعت جميع الفرق الكشفية لمدارس الموصل في مدرسة الصنائع، حيث جرى حفل استلام علم الكشافة من قبل مدرستي الخضرية والوطن، وقد بقي العلم محفوظاً في دائرة معارف منطقة الموصل. ريثما تجري مسابقة ثانية للفرق الكشفية، فيمنح للمدرسة الفائزة بالمرتبة الاولى(٢٤).

وفي اطار زيادة الفائدة ونشر الفرق الكشفية بين طلاب المدارس، فقد افتتحت مديرية المعارف في الموصل صف خاص لمعلمي الرياضة البدنية والكشافة، القيت فيه المحاضرات حول المناهج والرياضة البدنية لثلاث مرات بالاسبوع، فيما اقيم استعراض للفرق الكشفية على ساحة الثكنة العسكرية في ٢ تموز ١٩٢٤ حضره رؤساء السلطات الملكية والعسكرية وكبار ضباط الجيش والطيران ووجهاء مدينة الموصل، وبعد انتهاء الفرق الكشفية من استعراضها الكشفي تبرع المفتش الاداري (المستر لويد) بمبلغ (٥٠) روبية (الروبية تساوي ٧٥ فلساً عراقياً) تشجيعاً للفرق الكشفية(٢٥).

وساهمت الفرق الكشفية بالمناسبات الوطنية والاحتفالات الرسمية، فعندما حسمت ما سمي (بمشكلة الموصل) بين العراق وتركيا سنة ١٩٢٦ فقد اشتركت الفرق الكشفية في المهرجان العام الذي افتتح في مدينة الموصل ابتهاجاً بالمناسبة وطافت تلك الفرق شوارع المدينة وعلى انغام الموسيقى(٢٦).

ويبدو ان الفرق الكشفية قد نال من نشاطها الفتور، فما كان من مدير المدرسة الثانوية هاشم السعدي الا القيام بمبادرة عقد اجتماع موسع حضره جميع مدراء المدارس ناقشوا فيه سبل الارتقاء بالعمل الكشفي، وتمخض عن ذلك الاجتماع، ان تكون الكشافة اجبارية في جميع مدارس الموصل باستثناء الطلاب الذين يعانون من امراض معينة، حيث نظمت القوائم بأسماء الطلاب كما انتُخُب هاشم السعدي رئيساً لكشافة الموصل(٢٧).

ومما يذكر فان تسلسل الفرق الكشفية في منطقة الموصل من حيث العدد كانت بعد منطقة بغداد لسنة ١٩٢٨ حيث ازدادت اعداد الفرق الكشفية بشكل ملحوظ ومن خلال الاستعراضات، فقد شارك (٥٢٥١) كشافاً في المناطق الثلاث في العراق (بغداد والموصل

والبصرة)، وان منطقة بغداد ضمت (٧٨) فريقاً وعدد الكشافة فيها (٦٩٥٣)، ومنطقة الموصل ضمت (٢٨) فريقاً وعدد الكشافة فيها (٢٢٤٠) وشملت الموصل (٢٣) فرقة عدد افرادها (١٩٨٦) واربيل (٥) فرق وعدد افرادها (٢٥٤) كشافاً ومنطقة البصرة (٢٤) فريقاً وعدد الكشافة فيها (٢٥٨٨) وبذلك يكون مجموع كشافة العراق (١١٧٨١) كشافاً موزعين على (١٥٩) فريقاً[٢٨].

وفي الخامس من كانون الاول ١٩٣٠ اقيم استعراضاً عاماً للفرق الكشفية في مدارس الموصل، بحضور متصرف لواء الموصل تحسين علي ومدير الشرطة ومدير المعارف لمنطقة الموصل وقائد الكشافة العام ووجهاء الموصل والعلماء والرؤساء الروحانيين وجماهير قدرت بـ (١٢) الف متفرج وبعد استعراض الفرق المشاركة جرت الالعاب والتمارين الكشفية المتنوعة، كسباق طفر الموانع وتسلق السلالم والاعمدة ونصب الجسور والمراصد والتمارين السويدية والعاب الجمباز. وانتهى الاستعراض بفعالية تحية العلم العراقي وتوزيع الجوائز على المتفوقين، وكان ترتيب الفرق الفائزة كما يأتي: المرتبة الاولى الممتازة مدارس، الصناعة والوطن والعراقية، اما المرتبة الثانية فكانت لمدارس: العدنانية والميدان والتهذيب وباب النبي والخزرجية[٢٩].

وتوثيقاً للصلات الكشفية بين العراق وسوريا فقد سافر الى سوريا في نيسان ١٩٣٢ فريقاً كشفياً لدار المعلمين برفقة كل من: سعد الدين حقي المعلم في المدرسة القحطانية وعبد الرزاق محمود المعلم في مدرسة الخزرجية وميخائيل حنا من مدرسة التهذيب، فيما قام كشافة المدرسة الثانوية في الموصل في ٢٠ نيسان ١٩٣٢ برحلة كشفية الى ناحية القوش والقرى المجاورة لها وقد استغرقت الرحلة (١٤) يوماً مشياً على الاقدام حيث حلوا ضيوفاً عند مدير ناحية القوش بهجت قليان وكذلك في دير السيدة[٣٠].

صدور نظام الكشافة والفتوة:

صدر نظام الكشافة سنة ١٩٣٦ والذي أطر عمل الفرق الكشفية مبيناً المبادئ العامة للعمل الكشفي فضلاً عن الاهداف والغايات المتوخاة من نشر الفرق الكشفية بين طلاب المدارس، حيث تألف النظام من عشرة مواد اساسية وهي لا تختلف كثيراً عن القوانين العشرة التي وضعتها وزارة المعارف سنة ١٩٢٤ والتي ذكرناها آنفاً وهذا ما سنلاحظه من خلال بنود نظام الكشافة وهي ١- الكشافة لا يحيد عن كلامه ٢-الكشاف حمي ٣- وظيفة الكشاف ان يكون رجلاً عاملاً قادراً على معرفة الغير ٤- الكشاف صديق للكافة واخ للكشاف٥- الكشاف رقيق الطبع حسن

المعاشرة محب للفضيلة ٦-الكشاف يرحم الحيوان ويرفق به ٧-الكشاف مطيع ٨- الكشاف ضحوك بشوش ٩- الكشاف مقتصد١٠- الكشاف عمله مطابق لقوله وقوله مطابق لعمله[٣١]. وقد طبق النظام في الموصل وهدف الى تعويد الطلاب على خشونة العيش وتحمل المشاق وبث الروح العسكرية وصفات الرجولة والفروسية، والانخراط بالعمل الكشفي اجباري اعتباراً من الصف الثالث الابتدائي الى الصف الثاني المتوسط، حيث خصصت ساعتان في الاسبوع للتدريب العسكري والعملي وساعة للمحاضرات النظرية. ووزع على المدارس القَسَم الكشفي ليقوم اعضاء الفرق الكشفية بأدائه والعمل بموجبه وهو: سأجتهد في وظيفتي الملقاة على عاتقي لارضاء الله و(الملك) وسابذل قصارى جهدي في معونة اخي الانسان واطيع قانون الكشافة ولا انحرف عنه[٣٢].

وكان استاذ الكشافة وقائد الفرقة الكشفية يقف امام الفريق الكشفي يعلمهم ويوصيهم فيقول: " ان المسلك الجليل الذي تنتسب اليه يحتم عليك اطاعة الله وتأدية واجب الوطن ومساعدة الغير ونفع الجميع والرأفة بالحيوان والابتسام امام الاهوال"[٣٣].

كما نظم ولحن يحيى اللبايدي نشيد الكشافة العراقية الذي تنشده مجاميع الفرق الكشفية عند تجمعها وهو:

اللازمة: نحن كشاف العراق خير ركن للوطن
تحت ظل الحق نمشي لانبالي بالمحن
شيمة الكشاف صدق فهو لايرضى الهوان
مبدأ الكشاف رفق قلبه رمز الحنان
شيمة الكشاف مبدأ الكشاف
عزم وثبات

"اللازمة"

انما الكشاف حر روحه روح العمل
فهو للاوطان ذخر وعماد وأمل
شيمة الكشاف مبدأ الكشاف
عزم وثبات[٣٤]

ومما يذكر فأن الآهلين بدأوا بالاهتمام بتلك الحركة الكشفية ، وتبرعوا لهم بمساعدات لايستهان بها في دعم الاحتفالات العديدة التي اقيمت في المدارس، كما ان انتشار الحركة الكشفية في العراق عموماً، ساعد في تشجيع طلاب الكشافة على القيام باعمال خيرية وانسانية وطوعية منها المساعدة في انقاذ الغرقى في الانهر وتضميد الجروح للناس المصابين واسعاف الآخرين عند وقوع الحرائق ومساعدة الضعفاء وغيرها من اعمال الخير والبر[٣٥].

وبالرغم من تلك الانشطة للحركة الكشفية الا انها لقيت معارضة قوية من قبل بعض الاوساط الاسلامية التي كانت ترى انها ذات اصول نصرانية ولها اهداف دينية! فضلاً عن الملابس التي تكشف ركبتي الكشاف وهو في (نظرهم) عمل لايرتضيه دين او خلق. وهم فوق كل هذا لايرون فائدة من هذه الحركة التي تشغل قسماً كبيراً من اوقات الطلاب وضياع وقتهم[٣٦].

الفتوة:

بعد صدور نظام الكشافة والفتوة لسنة ١٩٣٦، جرى تنفيذ بنوده على طلاب المدارس في عموم العراق، ومنها على الفرق الكشفية في المدارس الابتدائية في الموصل وتشكيل فرق الفتوة لطلاب المتوسطة والثانوية.

ففي سنة ١٩٣٧ جرى تدريب الفتوة وفق المنهج التدريبي لتشمل ثلاثة ايام في الاسبوع ايام (السبت والاثنين والخميس) من كل اسبوع. وكانت المحاضرات تلقى عليهم بعد الظهر كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع لطلاب ثانوية الموصل والمتوسطة الملحقة بها. و طلاب صناعة الموصل وطلاب المدرسة الشرقية فكانت محاضراتهم يوم الاربعاء بعد الظهر من كل اسبوع، ثم انتظم الجميع في يوم الاربعاء الى نهاية التدريب السنوي. حيث اطلع طلاب الفتوة اثناء المحاضرات على مختلف الاسلحة والرشاشات كما قام طلاب الفتوة بزيارة لثكنات الجيش في معسكر الغزلاني، اطلعوا خلالها على ترتيب وحدات الجيش وصنوفه وكيفية تدريبهم[٣٧].

اشترك طلاب فتوة مدارس الموصل في مطلع السنة الدراسية بالفحص الطبي وكانت اعدادهم كما يأتي: ٩٠ طالباً من الثانوية و٦٨ طالباً من المتوسطة الملحقة بها و٨٧ طالباً من المتوسطة الشرقية و٩ طلاب من مدرسة الصناعة. وعندما اعلنت وزارة الدفاع قبيل منتصف السنة رغبتها في قبول طلاب الصف الخامس في المدرسة العسكرية التحق ٤٠ طالباً في المدرسة المذكورة وتنسب ٣ منهم في مدرسة الطيران وتعين ٥ منهم وكلاء معلمين[٣٨].

اقبل طلاب الفتوة على التدريب العسكري باندفاع شديد، وقد ظهر ذلك واضحاً عند توزيع الاسلحة عليهم لاغراض التدريب. حيث كان الطالب الذي لايستطيع حمل السلاح (يتوسل) ليحمل السلاح وكانت المسيرة المشتركة التي قام بها طلاب الكشافة مع طلاب الفتوة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٧ اثراً طيباً في نفوس الطلاب واولياء امورهم. فيما جرى في النصف الثاني من السنة وتحديداً في ١٣ آذار ١٩٣٧ اختبار ١٩٨ من طلاب الفتوة على الاسلحة من قبل مقدم اللواء وضابط ركن منطقة الموصل[٣٩].

الخاتمة

لقد ظهرت الحركة الكشفية في العراق منذ آواخر العهد العثماني، وانتشرت بين مدارس الموصل منذ تأسيس الحكم الوطني سنة ١٩٢١، والحركة الكشفية مستمدة في فلسفتها من عمق الحياة العربية الاصيلة حيث يتحمل الفرد العربي وبخاصة في البادية مشقات الظروف الصعبة والتعامل مع تقلبات الطبيعة بأوقاتها المختلفة. فضلاً عن ان العمل الكشفي يؤكد على الخصال والسجايا العربية الحميدة التي يتحلى بها الفرد العربي.

والحركة الكشفية في الموصل قد لاقت في بدايتها بعض العنت وعدم التفهم لمضامينها ومراميها وعدّت بمثابة التشبه بالغرب واضاعة الوقت. ومع مرور الوقت لاقت انتشاراً ورواجاً في المدارس المختلفة وبالنظر لما تقدمه ومالمسه الطلاب المنخرطين فيها من فوائد جسمانية وفكرية ورياضية وميدانية وانسانية وتربوية، حيث تعودهم على الصبر وتحمل المشاق وحب الوطن والدفاع عنه ومساعدة الآخرين والصدق مع النفس وافادة الآخرين. ولاشك ان اولى الممارسات التي يعتاد عليها الطلاب هي التمحلق حول العلم العراقي وتادية التحية له في ممارسة تسمى (تحية العلم) والغاية منها ايجاد رابط بين الطالب وحب الوطن. كما كان لصدور نظام الكشافة والفتوة لسنة ١٩٣٧ اثره في تشجيع طلاب المتوسطة والثانوية على الانخراط في صفوف الفتوة والاقبال على التدريب العسكري ومن ثم تطوع القسم منهم في صنوف الجيش المختلفة.

الهوامش

١- مجلة الكشاف العراقي، السنة ١، العدد (١)، بغداد، ١٥ حزيران ١٩٢٤، ص ص٢-٣.

٢- عبد الرزاق الهلالي،تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧ (بغداد،١٩٥٩)ص٢٣٦ .

٣- انظر كتابه، الكشاف العراقي (مصر،١٩٢٢)ص٢٠ .

٤- مجلة الكشاف العراقي، السنة (١)، العدد (١)، بغداد، ١٥ حزيران ١٩٢٤، ص ٢٠.

٥- وقد عين قائداً للكشافة وناظراً للرياضة والالعاب البدنية في بغداد وملحقاتها .

٦- تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ ،وضع قلم تحرير العراق (بغداد،١٩٢٣)ص٢٤٤ .

٧- الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ (بغداد،١٩٣٦)، ص٦١٠.

٨- المصدر نفسه،ص٦١٠ .

٩- تقويم العراق لسنة ١٩٢٣،ص٢٤٦ .

١٠- الهلالي، المصدر السابق،ص٢٣٦ .

١١- (١١) ولد في مدينة الموصل سنة ١٨٨٦ وتخرج في المدرسة الاعدادية سنة ١٩١٤ ودرس الموسيقى على يد ضابط عثماني لمدة اربعة سنوات ، وفي سنة ١٩١٨ دخل فرقة موسيقى الجيش العثماني. ثم تسرح من الجيش في نفس العام وعُين معلماً سنة ١٩٢١ . ومراقباً كشفياً ومدرساً للموسيقى فيها . وفي سنة ١٩٢٤ كُلف بتأسيس فرقة موسيقى الجيش العراقي في الموصل ولحن وألف العديد من القطع الموسيقية. للتفاصيل عنه انظر، باقر امين الورد، اعلام العراق الحديث (بغداد،١٩٧٨)ص٣١٤

١٢- (١٢) مجلة الكشاف العراقي، السنة ١، العدد (١)، بغداد، ١٥ حزيران ١٩٢٤، ص ص ٧-٩.

١٣- (١٣) المصدر نفسه والعدد، ص ٢٢.

١٤- (١٤) المصدر نفسه والعدد، ص ٢٣.

١٥- (١٥) المصدر نفسه والعدد، ص ٣٢.

١٦- (١٦) جريدة الموصل العدد (٥٦)، ١٨ نيسان ١٩١٩ .

١٧- (١٧) جريدة الموصل، العدد (٣٧٥)، ٢٠ ايار ١٩٢١ .

١٨- (١٨) من مواليد مدينة الموصل سنة ١٨٩٥ تخرج في دار المعلمين ببغداد سنة ١٩١٦ وخدم في الجيش العثماني بصفة ضابط احتياط وساهم في تأسيس المدرسة الخزرجية بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق، عمل كاتباً في مجلس النواب سنة ١٩٢٩ وله مقالات صحفية في الاصلاح الاجتماعي، للتفاصيل عنه انظر، ذنون الطائي، رواد النهضة الفكرية في الموصل (الموصل،٢٠٠١) ص ص١١١ -١١٥ .

١٩- (١٩) جريدة الموصل،العدد (٤٤٣) ٣١ تشرين الاول ١٩٢١.
٢٠- (٢٠) جريدة الموصل، العدد (٤٥٣) ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢١ .
٢١- (٢١) جريدة الموصل، العدد (٤٤٤) ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ .
٢٢- (٢٢) صدقي، المصدر السابق،ص ص١٢-١٦ .
٢٣- (٢٣) جريدة الموصل، العدد (٤٤٢) ٢٨ تشرين الاول ١٩٢١ .
٢٤- (٢٤) وائل علي احمد النحاس: "النشاط الرياضي في الموصل١٩٢١-١٩٣٢"، مجلة الرافدين للعلوم الرياضية، المجلد(٤)، العدد (٢٥)، ٢٠٠١، ص ٢٣٥.
٢٥- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.
٢٦- (٢٦) مجلة الكشاف العراقي، السنة (٢)، العدد (٢)، ١٥ ايار ١٩٢٦، ص٢٤.
٢٧- (٢٧) مجلة الكشاف العراقي، السنة (٢)، العدد (٣)، ايلول ١٩٢٦، ص٦٨.
٢٨- (٢٨) النحاس، المصدر السابق، ص٢٣٦.
٢٩- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.
٣٠- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.
٣١- (٣١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني (بغداد،١٩٧٥)، ص٣٣١ .
٣٢- (٣٢) انظر تقرير التدريب العسكري في المدارس لسنة ١٩٣٧، ملفة تقارير الكشافة والفتوة تسلسل ٣٢١٢٠/١٦١ وزارة المعارف، دار الكتب والوثائق.
٣٣- (٣٣) صدقي، المصدر السابق، ص ص٣٨-٣٩ .
٣٤- (٣٤) انظر مجموعة الاناشيد الوطنية العراقية (لا.م، د.ت) ص ص١٦-١٧ .
٣٥- (٣٥) انظر، تقويم العراق لسنة ١٩٢٣، ص٢٤٧ .
٣٦- (٣٦) الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٢٣٥ .
٣٧- (٣٧) انظر تقرير التدريب العسكري في المدارس لسنة ١٩٣٧، السابق الذكر.
٣٨- (٣٨) المصدر نفسه.
٣٩- (٣٩) المصدر نفسه.